أثر التغيُّرات الصَّرفيَّة في تغيّر المعني
دراسة تطبيقيَّة لبعض آيات القرآن الكريم

د. محمد يوسف جلبي

جامعة كاراتي / تركيا

The effect of morphological changes in changing meaning: An applied study of some verses of the Holy Qur’an

DR. MUHAMMED ÇELEBİ

KTO KARATAY ÜNİVERSİTESİ

ملخص البحث:

يدور البحث حول موضوع: أثر التَّغيُّرات الصَّرفيَّة في تغيّير المعني: دراسة تطبيقيَّة لبعض آيات القرآن الكريم)؛ حيث إنَّ هناك علاقة وطيدة بين المباحث اللُّغويَّة بمستوياتها المختلفة بدءًا من الصَّوت، ثمَّ الصَّرف (الكلمة اسمًا وفعلاً)، ثمَّ النَّحو (تركيب الجملة)، ووصولاً للدلالة (معنى الجملة)، ويترتَّب على هذا أنَّ هناك تغييرات صرفيَّة بسبب التَّغيرات الصوتيَّة، سواء تغيير الحركة، أو تغيير الحرف، في القراءات القرآنيَّة، والتَّي تفضي إلى تغيّر الدِّلالة ومغايرة المعنى، لكن بشكل يخدم النَّصَّ القرآنيّ، فلا يوجد تعارض بين المعنيين، بل نجد المعنيين يؤدِّيان دلالتين صحيحتين بحسب السياق وموقف الكلام وأسباب النُّزول، وهذا ضرب من ضروب الإعجاز اللُّغويّ في القرآن الكريم لقد نشأت الدِّراسات اللُّغويَّة العربيَّة بعامَّة والدِّراسات الصَّوتيَّة خاصَّة نتيجة لاحتياجات عملية تتَّصل بقراءة القرآن الكريم وتفهم أحكامه، ثمَّ تعليم اللُّغة العربيَّة لمن دخل الإسلام من غير العرب.ويأتي هدف البحث في بيان التَّغيير في اختيار الحركات والحروف، وتوجيه المعنى المرتبط باختلاف اللغويين، وأثر ذلك في الدِّلالة وتفسير الآية واختلاف المعنى.وتأتي أهمِّيته في بيان التفسيرات المختلفة للآية الواحدة بشكل غير متناقض، وإبراز مدى التَّوسُّع في المعنى في القرآن الكريم. أمَّا منهجه فهو يعتمد عل المنهج الوصفيّ التَّحليليّ، حيث يقوم بعرض الآية القرآنيَّة وبيان معناها عند بعض القرَّاء والمفسِّرين وتحليل القراءات المتخلفة تبعًا للمعنى.**مصطلحات البحث:**المعنى (الدِّلالة)، الصَّرف، القراءات القرآنيَّة، الصّوت، التَّغيير.

Abstract

There is a close relationship between linguistic investigations at their various levels, starting with sound, then morphology (the word is a noun and a verb), then grammar (sentence structure), and arriving at semantics (the meaning of the sentence), and it follows from this that there are morphological changes due to phonetic changes, whether changing movement, or Changing the letter, in Qur'anic readings, which leads to changing the meaning and changing the meaning, but in a way that serves the Qur'anic text, so there is no conflict between the two meanings. Rather, we find the two meanings giving two correct meanings according to the context, the situation of the speech, and the reasons for the revelation. This is a kind of linguistic miracle in the Holy Qur'an Arabic linguistic studies in general and phonetic studies in particular arose as a result of practical needs related to reading the Holy Qur'an and understanding its provisions, then teaching the Arabic language to non-Arabs who converted to Islam.The aim of the research is to explain the change in the choice of vowels and letters, directing the meaning associated with the differences in linguists, and the impact of this on the connotation and interpretation of the verse and the difference in meaning.Its importance comes in explaining the different interpretations of a single verse in a non-contradictory manner, and highlighting the extent of the expansion of meaning in the Holy Qur'an As for the approach, it relies on the descriptive and analytical approach, as it presents the Qur'anic verse, explains its meaning according to some readers and interpreters, and analyzes the subsequent readings according to the meaning.**key words:Meaning (connotation), morphology, Quranic readings, sound, change.**

- قوله تعالى[1]:﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، فلفظ القراءة (يُخادعون) فيه صيغتان إحداهما هذه، والأخرى هي: (يَخدعون) واختار هذه الكوفيون وابن عامر وآخرون: كأبي جعفر والحسن وقتادة وأبى عبدالرَّحمن السُلَمي، وحُجَّتهم من اللُّغة والتَّفسير ونصّ القرآن؛ ذلك لأنَّ فاعَل وفعَل بمعنى واحد، وأنَّ الخِداع لم يكن من اثنين كما توحي صيغة (فاعَلَ).وفى ذلك تنزيه للرسول الكريم – عليه السَّلام – عن إتيان فِعل الخداع، وأنَّ الخداع لم يكن إلا من المنافقين، كما في قوله تعالى[2]: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.واختار الآخرون من السَّبعة ومعهم الأعرجُ وابنُ جُنْدُب وشَيبةُ ومُجاهد صيغة المفاعلة على استواء الصِّيغتين، وحملوا اللَّفظ الثَّاني على الأوَّل، والمسموع من نطق اللَّفظين مختلفين يوحي بفَرْق بين الصِّيغة الأولى الَّتي ليس فيها ألف، ويوحي بشيء من المعنى، والمسموع منهما متَّفقين يوحي برتابة ويوحى بتأكيد المعنى وعودته على أنفُس الخادعين وحدهم[3].يقول القرطبيُّ: "قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (يخادعون) في الموضعين؛ ليتجانس اللّفظان، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر: (يخدعون) الثَّاني، والمصدر خدع (بكسر الخاء) وخديعة، حكى ذلك أبو زيد.وقرأ مورِّق العجلي: (يخدِّعون الله) (بضمِّ الياء وفتح الخاء وتشديد الدَّال) على التَّكثير، وقرأ بضمِّ الياء وإسكان الخاء وفتح الدَّال، على معنى وما يخدعون إلَّا عن أنفسهم، فحذف حرف الجرِّ، كما قال تعالى[4]: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾؛ أي من قومه"وقريب من هذا قوله تعالى[5]: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)، وله نظائر في القرآن كثيرة، وقد قرئ بوجهين: أحدهما على وزن: (يفعلون)، وهو من (كذب)، واختارها الكوفيون ومعهم الحسن وقتادة وأبو عبد الرَّحمن السّلمي وغيرهم محتجين بأن ذلك موافق لما قبله في قوله عزَّ وجلَّ[6]: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾وثانيهما على وزن: (يُفَعِّلون)، وهو من (كَذّب)،واختارها البقية من السَّبعة ومعهم الأعرج وأبو جعفر وشيبة ومجاهد وغيرهم،

وحجتهم ما يقتضيه معنى الآية المتقدّمة؛ ذلك أنَّ المرض شكٌ، ومن كان هكذا شأنه كذّب وجحد، وللفرق بين الصِّيغتين في الدِّلالة، ومقتضى المقام إحدى الصِّيغتين أكثر من الأخرى، واللَّفظ فاصلة، واختلاف الصِّيغة فيها يوحى بالفرق الَّذي يلمح بوجهيه[٧].قوله تعالى:[٨] ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾؛ ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ قرأ الجماعة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ بغير ألف، من الزلة، وهي الخطيئة، أي: استزلهما، وأوقعهما فيه.فقرأ حمزة وكذا الحسَن والأعرج عن طلحة: (فَأَزَالهُمَا) بألف مخفّفة يريد أنَّه من الزَّوال والتَّنحية، ومخالفة معنى ما قبله، إذ أمر الله سبحانه آدم وحواء بسكنى الجنَّة والسُّكنى ثبات حتى سعى إبليس اللَّعين فأزلهما عن مسكنهما؛ فقراءة حمزة: ﴿فأزالهما﴾ بألف، من التَّنحية، أي: نحاهما، يقال: أزلته فزال. قال ابن كيسان: فأزالهما، من الزَّوال، أي: صَرَفهما عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية.[9]وقرأ الآخرون من السَّبعة، وطائفة مثل قتادة ومجاهد وشيبة على التَّضعيف من الزَّلل، أي: (فأزلّهما)؛ إذ وسوس لهما الشَّيطان بذلك فأدخلهما في الزَّلل، فتسبَّب في زوالهما عن الجنَّة، وفي كلِّ قراءة معنى مختلف عن الأخرى[١٠].

يقول القرطبيُّ: "قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ قرأ الجماعة ﴿فأزلَّهما﴾ بغير ألف، من الزلة وهي الخطيئة، أي استزلهما وأوقعهما فيها، وقرأ حمزة ﴿فأزالهما﴾ بألف، من التنحية، أي نحاهما، يقال: أزلته فزال، قال ابن كيسان: فأزالهما من الزوال، أي صرفهما عما كانا عليه من الطَّاعة إلى المعصية قلت – أي القرطبيّ –: وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى، إلا أنَّ قراءة الجماعة أمكن في المعنى، يقال منه: أزللته فزل، ودلَّ على هذا قوله تعالى[١١]:﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾، وقوله[١٢]:﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾؛ والوسوسة إنما هي إدخالهما في الزَّلل بالمعصية، وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان، إنَّما قدرته [على] إدخاله في الزَّلل، فيكون ذلك سببًا إلى زواله من مكان إلى مكان يذنبه، وقد قيل: إنَّ معنى أزلهما من زل عن المكان إذا تنحى، فيكون في المعنى كقراءة حمزة من الزوال قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ إذا جعل أزال من زال عن المكان، فقوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ تأكيد وبيان للزوال، إذ قد يمكن أن يزولا عن مكان كانا فيه إلى مكان آخر من الجنة، وليس كذلك، وإنَّما كان إخراجهما من الجنة إلى الأرض، لأنَّهما خلقا منها، وليكون آدم خليفة في الأرض، ولم يقصد إبليس– لعنه الله– إخراجه منها وإنَّما قصد إسقاطه من مرتبته وإبعاده كما أبعد هو، فلم يبلغ مقصده ولا أدرك مراده، بل ازداد سخنة عين وغيظ نفس وخيبة ظنّ".وتختلف الصِّيغة في أكثر من موضع؛ نحو قوله، عزَّ وجلَّ[١٣]:﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فلفظ الفعل ﴿نُنْسِها﴾ قرئ على وجهين: أحدهما من (نسأ) وهى قراءة أبى عمرو وابن كثيرورُوى من قراءة عمر وابن عباس وعطاء بن يَسار وغيرهم، على معنى التَّأخير، وثانيهما من (نسى) وهى قراءة الباقين، ورُويت من قراءة ابن المُسَيّب وأبى عبدالرَّحمن وقتادة وغيرهم[١٤] يقول القرطبيُّ: "(نُنْسِهَا) عطف على (نَنْسَخْ) وحذفت الياء للجزم، ومن قرأ (ننسأها) حذف الضمة من الهمزة للجزم"، ثمَّ يقول: "قوله تعالى: (أَوْ نُنْسِهَا) قرأ أبو عمرو وابن كثير بفتح النون والسين والهمز، وبه قرأ عمر وابن عباس وعطاء ومجاهد وأبي بن كعب وعبيد بن عمير والنخعي وابن محيصن، من التأخير؛ أي نؤخِّر نسخ لفظها، أي نتركه في آخر أم الكتاب فلا يكون، وهذا قول عطاء وقال غير عطاء: معنى أو ننسأها: نؤخرها عن النَّسخ إلى وقت معلوم، وقيل: نذهبها عنكم حتى لا تقرأ ولا تذكر، وقرأ الباقون (ننسها) بضمِّ النُّون، من النّسيان الذي بمعنى الترك، أي نتركها فلا نبدلها ولا ننسخها، قاله ابن عباس والسّدي، ومنه قوله تعالى[١٥]:﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾؛ أي تركوا عبادته فتركهم في العذاب، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم، قال أبو عبيد: سمعت أبا نعيم القارئ يقول: قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم في المنام بقراءة أبي عمرو فلم يغيّر علي إلَّا حرفين، قال: قرأت عليه[١٦]: (أَرِنَا)(البقرة:١٢٨) فقال: أرنا، فقال أبو عبيد: وأحسب الحرف الآخر (أو ننسأها)، فقال: (أو ننسها)، وحكى الأزهري: (ننسها) نأمر بتركها.وقال الزّجاج: إنَّ القراءة بضمِّ النُّون لا يتوجَّه فيها معنى الترك، لا يقال: أنسى بمعنى ترك، وما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس: (أو ننسها) قال: نتركها لا نبدلها، فلا يصح، ولعلَّ ابن عباس قال: نتركها، فلم يضبط، والذي عليه أكثر أهل اللُّغة، والنَّظر أنَّ معنى "أو ننسها" نبح لكم تركها، من نسي إذا ترك، ثمَّ تعديه"قوله تعالى:[١٧] ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾؛ قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة ﴿بضنين﴾ بالضاد، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائيّ ورويس ﴿بظنين﴾ بالظَّاء .فالقراءة بالضاد ﴿بضنين﴾ فمن الضَّنَّة وهي البخل؛ أي معناها ما هو على الغيب ببخيل، أمَّا القرَّاءة بالظاء ﴿بظنين﴾ فمن الظَّنَّة وهي الاتهام، أي ما هو على الغيب بمتهم.[١٨]اختلف القرَّاء في قوله تعالى:[١٩] ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، فقرأ عاصم بنصب ﴿حمالةَ﴾، وقرأ الباقون ﴿حمالةُ﴾ بالرفع. ففي قراءة النصب: قوله: ﴿وامرأته﴾ معطوف على الضمير في ﴿سيصلّى﴾، وكأنَّه قال: وستصلَّى امرأته، والعامل في المعطوف هو العامل نفسه في المعطوف عليه. وتضمنت هذه القراءة معنى لم يرد في القراءة الأولى: ﴿وامرأته حمالة﴾، وهو أن هذه المرأة الشريرة ستصلَّى النار، كما يصلاها أبو لهب .وأما قوله : ﴿حمالةَ﴾ فهو مفعول به لفعل محذوف تقديره: أذم أو أعني، وهذا الذَّمُّ صادر من

ربّ العالمين، ومن يذمه الله سبحانه فأمه هاوية، ومآله في دركات الجحيم. [20]قوله تعالى:[21] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾؛ اختلف القرَّاء في ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾؛ فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وروح، بكسر القاف وقرأ الباقون بفتحها. ووجهت قراءة الكسر على أن فمستقِر اسم فاعل مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير: فمنكم مستقر في الرحم، أي: قد صار إليها واستقر فيها، ومنكم من هو مستودع في صلب أبيه.وأما قراءة الفتح فهي اسم مكان مبتدأ والخبر محذوف أيضا، أي: موضع استقرار وموضع استيداع، والتقدير: فمنكم من هو قار في الأرحام، ومنكم من هو مستودع في صلب أبيه، ويجوز أن يكون مصدرًا؛ أي: فلكم مكان تستقرُّون فيه وهو الصُّلب أو الرَّحم أو الأرض، أو لكم استقرار فيما تقدم، وينقص أن يكون اسم مفعول لأن فعله قاصر لا يُبنى منه اسم مفعول.[22]قوله تعالى:[23] ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾؛ في هذه الآية الكريمة قراءتان متواترتان، فقد قرأ أبو عمرو البصري والكسائيّ بجزم ﴿يرثني ويرث﴾، وقد اختلفت الدلالة اللغوية باختلاف القراءتين، فمن جزم الفعلين، فقد جعل الفعل الأول مجزوما في جواب الدعاء وهو قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾؛ لأنَّ معنى الشرط موجود فيه، وجعل الكلام متصلاً بعضه ببعض، وقدر الولي بمعنى الوارث، والتقدير: فهب لي من لدنك ولياً وارثاً يرثني، وتقوَّت هذه القراءة بكون ولياً رأس آية مستغن عن أن يكون ما بعده صفة له. والفعل الثاني ﴿ويرث﴾ تابع للأول معطوفا على ﴿يرثني﴾.

ومن قرأ بالرفع في الفعلين، وهم الباقون من القرَّاء، فقد جعلوا الفعل المضارع وفاعله المستتر فيه في محل نصب صفة لكلمة وليًّا لأنَّ الجمل بعد النكرات صفات، ولأنه نكرة عاد الجواب عليها بالذكر ودليله قوله تعالى:[24] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، ولأن زكريا– عليه السَّلام– سأل ربه وليًّا وارثًا علمه ونبوته، وليس المعنى على الجزاء أي: إن وهبته ورث ذلك؛ لأنه ليس كل ولي يرث، فإذا لم يكن كذلك لم يسهل الجزاء.[25]قوله تعالى:[26] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقوله تعالى:[27] ﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهم بِبَعْضٍ﴾؛ قرأ نافع بألف، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة والكسائيّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ﴾ بألف، وَلَوْلَا دَفْعُ الله بغير ألف. قال أبو على قراءة ابن كثير وأبي عمرو: "إن الله يدفع" ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ﴾؛ الدفع مصدر دفع جعلوا. وقراءة نافع: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ﴾، ﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ﴾، في ﴿دفاع﴾ يكون مصدر ﴿دافع﴾، كما أن القتال مصدر قاتل.[28]قوله تعالى:[29] ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾، اختلف القرَّاء في لفظة ﴿فصرهنّ﴾، فقرأ حمزة بكسر الصاد، وقرأ الباقون بضمها، أما قراءة الضم فتعني: أملهنَّ إليك واجمعهُنَّ، من الفعل صار يصور . قال الكسائيّ: "بمعنى وجِّهْهُنَّ إليك"، والعرب تقول: صر وجهك إلي أي: أقبل علي، واجعل وجهك إليَّ، وفسرها أبو عمرو بقوله: ضمهن إليك.يتبين مما تقدم أن قراءة ﴿فصرهُنَّ﴾ أفادت الطلب من إبراهيم– عليه السَّلام– أن يميل الطير إليه، ويُوجهها إليه، ويضمّها. وهذه هي المرحلة الأولى من العملية الَّتي قام بها النَّبيُّ الكريم.أمَّا قراءة الكسر فهي من صار يصير. وصرت الشَّيء : قَطَعتُه والجارّ المتأخِّر موضعه التَّقديم. والتقدير: فخذ أربعة من الطير فصرهنّ، أي: قَطِّعْهُنَّ، وشقِّقْهنَّ، ومزِّقْهُنَّ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا. ونقل ابن عطية عن ابن عبَّاس أنَّها لفظة بالنبطية معناها: قَطِّعْهُنَّ.[30]قوله تعالى:[31] ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾؛ وكانت قد رجت أن يكون ما في بطنها ذكرًا، وقد لهفت على قوت الأمل، وأفزعها أن نَذَرَتْ ما لا يجوز نَذره.واختلف القرَّاء في لفظة ﴿وضَعَتْ﴾ فقرأ ابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر بضم التاء، وقرأ الباقون بسكونها. أمَّا قراءة ﴿وَضَعْتُ﴾ فواضح من سياقها أنَّ هذا كلام أم مريم، وهو يجري مجرى قول القائل: "يارب قد كان كذا وكذا، وأنت أعلم بما جرى من شأني"، تريد بذلك الخضوع والاستسلام، ولا تقول ذلك على سبيل إعلام ربك بشأنك؛ فإنَّ الله سبحانه أعلم بما يجري على عبيده.وأمَّا قراءة الجمهور ﴿وضعتُ﴾ فهو من قول الله تعالى؛ لأنَّ أم مريم قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾، فقال تعالى: "الله أعلم بذلك، وتحت ذلك أمر هو بالغه، وهذه القراءة تنبيه على عظم قدر هذا المولود، وأن له شأنًا لم تعرفه، ولم تعرف إلا كونه أنثى، دون ما تؤول إليه من أمور عظام، وآيات واضحة. قال الزَّمخشريُّ: ولتكلمها بذلك على وجه التَّحزُّن والتَّحسُّر. وفي قوله تعالى:[32] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ تعظيمًا لموضوعها، وتجهيلاً لها، بقدر ما وَهَبَ لها منه، ومعناه: والله أعلم بالشَّيء الَّذي وضعت، وما علق به من عظائم الأمور، وأن يجعلها وولدها آية للعالمين، وهي جاهلة بذلك، لا تعلم منه شيئاً؛ فلذلك تحسرت.[33]قوله تعالى:[34] ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾؛ اختلف القرَّاء فقرأ الجمهور لا ترى بالبناء للمعلوم. وقرأ عاصم وحمزة ﴿يرى﴾ بالبناء للمجهول، والفعل مسند إلى المساكن والكلام محمول على المعنى، أي: لا يُرى شيء إلا مساكنهم. وهذه الآية تصرف الحديث عن الرائي، فتطوي ذكره، وتوجه العناية لآثار القوم، فهذه أطلال المساكن تبدو شاهدة على آثار الدمار الشامل الَّذي لحق بهم وعصف، فقد أصبح هؤلاء الهلكى شواهد على هذا المشهد الصامت المنبئ عن مقدار ما أصابهم.

أما قراءة المبني للمعلوم ﴿ترى﴾ فهي محمولة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم، أو أي مخاطب، والمعنى: أنك لا ترى شيئاً أنت يا محمَّد، أو أيها المخاطب – إلا مساكنهم. وكأن السياق هنا يود أن يكون ثمة شاهد حي يرى بعينيه رؤية مباشرة هلاك القوم على كثرتهم

وتدمير منازلهم، وكأنها قد زالت.[35]قوله تعالى:[٣٦] ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾؛ قرأ حمزة والكسائيّ ﴿يُنزِفون﴾، وقرأ الباقون ﴿يُنزَفُونَ﴾. يقول الفرّاء في قراءة الجمهور ﴿ينزفون﴾: "لا تذهب عقولهم، وهو من نزف الرجل فهو منزوف". وقال الفارسيُّ: "من قرأ ﴿ينزفون﴾ أراد: لا يسكرون.وهكذا يدور معنى قراءة الجمهور على نفي السّكر عن خمر الجنة، وما يتبع هذا السكر من ذهاب العقل والفهم، الّذي عهد من جراء تعاطي خمور الدنيا، فيا أيها المؤمن الّذي تلته بشراب الجنة، لا يخطر ببالك أنّه سيصيبك ما يصيب شارب خمر الدنيا، فلن يعقب شراب الجنة سكر ولن يعقب السكر ذهاب عقل وفهم.أمّا قراءة حمزة والكسائيّ ﴿ينزفون﴾، فيذكرون من معانيها: "قد أنزف الرجل" إذا فنيت خمره. ومعنى أنزف: صار ذا إنفاد لشرابه. قال ابن أبي مريم: "وهو من الصيرورة أيضًا، أي صار ذا نفاد لشرابه". وفي اللّسان: "أَنْزَفَ القوم: نقد شرابهم، وانقطع. وذهب ماء بئرهم، ولم يبق لهم شيء. من قولهم: أنزف، إذا ذهب عقله، وأنزف الرجل إذا سكر".[٣٧]قوله تعالى:[٣٨] ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾؛ اختلف القرّاء في لفظة ﴿يُسَبِّحُ﴾، فقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿يُسبَح﴾ بالبناء للمجهول، وإقامة الجار والمجرور ﴿له﴾ مقام الفاعل. وقرأ الباقون بالبناء للمعلوم، وفاعله ﴿رِجَالٌ﴾.وتحدّث النحاة والبلاغيون عن قراءة المبني للمجهول، وأفادوا أن قوله يسبح له بمنزلة قولك: يُذْهَبُ بزيد في أن الفعل قد أسند إلى الجار والمجرور، فلا يجوز أن يرتفع ﴿رجال﴾ به، بل ارتفاعه بفعل آخر، وذلك أنه لما قيل: ﴿يُسَبِّح له﴾، عُلم أنَّ هناك مُسَبِّحًا. فكأنه قيل: مَنْ يُسَبِّحه؟ فجاء في الجواب: يسبحه رجال.أما قراءة المبني للمعلوم ﴿يُسَبِّح﴾ فقد جاءت على الأصل في إسناد الفعل للفاعل الظّاهر، وفيها تأخير الفاعل عن فعله للتشويق إليه؛ إذ فصل عنه بثلاثة جارات ومجرورات والمعطوف. وفي هذا ضرب من تهيئة النفوس إلى تعيينه، بعد أن تَشَوَّفَتْ إليه، وتطلّعت إلى معرفته، بعد الفصل بينه وبين عامله . وهكذا تبدت لنا محاسن هذا التعبير في ضوء هاتين القراءتين، بين تكرار ذكر الفعل لتحقيق الثناء على المسبحين، وتأخير ذكر الفاعل للتشويق إليه.[٣٩]قوله تعالى:[٤٠] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثمهُمَا أَكْبَرُ مِن نفعهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تتفكَّرون﴾؛ فقرأ حمزة والكسائيّ ﴿فيهما إثم كثير﴾ بالثّاء، وقرأ الباقون ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ بالياء؛ فمعنى قراءة حمزة والكسائيّ ﴿إثم كثير﴾ من الكثرة، وذلك لأن شرب الخمر يحدث معه آثام كثيرة من لغط وتخليط وسب وأيمان وعداوة وخيانة وتفريط في الفرائض وفي غير ذلك، فوصف بالكثرة، واستدلُّوا على ذلك بقوله تعالى:[٤١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنْتَهُونَ﴾ فذكر أشياء من الإثم.أمّا معنى قراءة ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ فهو من الكبر والعظم أي فيها إثم عظيم، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى:[٤٢] ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ فكذلك ينبغي أن يكون ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ لأنَّ شرب الخمر والميسر من الكبر، وفي هذا يقول الزَّجَّاج: "فأمَّا الإثمُ الكبيرُ الّذي في الخمر فبين، لأنَّها توقع العداوة والبغضاء، وتحول بين المرء وعقله الّذي يميز به ويعرف ما يجب لخالقه". ويقول مكّيٌّ: "أجمعوا على أن شرب الخمر من الكبائر فوجب أن يوصف لإثمه بالكبر".[43]قوله تعالى:[٤٤] ﴿فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾؛ فقرأ عاصم وحمزة والكسائيّ ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بفتح الياء وتسكين الكاف وتخفيف الذّال، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿يُكَذِّبون﴾ بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذّال؛ فالقراءة بالتّخفيف معناها أنهم استحقُّوا العذاب الأليم بسبب كذبهم في إظهار الإسلام والإيمان وهم في باطنهم كافرون، فهم كاذبون في قولهم:[٤٥] ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، والقراءة بالتشديد معناها أنهم استحقوا العذاب الأليم بسبب تكذيبهم النبي.[46]قول تعالى:[٤٧] ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنسَكًا هم ناسِكُوهُ﴾ اختلفوا في فتح السين وكسرها من قوله- عزَّ وجلَّ- ﴿مَنسَكًا﴾؛ فقرأ حمزة والكسائيُّ ﴿مَنْسِكًا﴾ بكسر السين في الحرفين جميعاً، وقرأ الباقون: ﴿مَنسَكًا﴾؛ بفتح السين في الحرفين جميعا.قال أبو علي: الفتح أولى؛ لأنه لا يخلو من أن يكون مصدرا أو مكانا، وكلاهما مفتوح العين، إذا كان الفعل على: فَعَلَ يفعل نحو: قتل يقتل مقتلا وهذا مقتلنا.ووجه الكسر: أنَّه قد يجيء اسم المكان على المَفْعِل من هذا النحو، نحو: المطلع، وإنما هو من: طَلَع يطلُعُ، والمسجد وهو من: يسجد؛ فيمكن أن يكون هذا مما شذ أيضًا عن قياس الجمهور، فجاء اسم المكان على غير القياس، ولا يقدم على هذا إلا بالسمع، ولعل الكسائيّ سمع ذلك.[48]اختلفوا في فتح الألف وضمها من قوله تعالى:[٤٩] ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾؛ فقرأ ابن كثير وحمزة والكسائيُّ: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ﴾ مفتوحة الألف مكسورة التاء. وقرأ نافع وأبو عمارة وابن اليتيم وهبيرة عن حفص عن عاصم: ﴿أذن﴾ برفع الألف ﴿يقاتَلون﴾ مفتوحة التاء.وقرأ عاصم- في رواية أبي بكر- وأبو عمرو: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ مضمومة الألف مكسورة التاء. وقرأ ابن عامر: أَذِنَ للذين يُقاتلون مفتوحة الألف والتاء. قال أبو عليّ: المأذون لهم في القتال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وما ظلموا به: أن المشركين أخرجوهم من ديارهم، وشرَّدوهم حتَّى لحق طائفة منهم بالحبشة، ثم بوئوا المدينة بعد.فمن قرأ: ﴿أَذِنَ﴾ فبنى الفعل للفاعل؛ فلما تقدم من ذكر الله- عزَّ وجلَّ- وقوله: ﴿لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ في موضع نصب. ومن قرأ: أُذِنَ فبنى الفعل

للمفعول به، فالمعنى على أن الله– سبحانه وتعالى– أذن لهم في القتال، والجارّ والمجرور في موضع رفع (لإسناده الفعل) المبنى للمفعول إليهما ومن قرأ: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ﴾؛ فالمعنى فيه: أَذن الله للذين يقاتلون بالقتال، ومعاني هذه القراءات متقاربة.وزعموا أن في بعض القراءات: في سبيل الله وهذا يصلح أن يكون في قراءة من قرأ: ﴿يقاتِلون﴾ و﴿يُقَتَلُونَ﴾؛ لأن من يقاتل المشركين، ومن يقاتل من المسلمين فقتاله في سبيل الله، وحَذْفُ مثل هذا في الكلام للدلالة عليه حسن كثير، والَّذي أظهره أخرج ما حذفه الجمهور من اللفظ إلى اللفظ. ومما يقوِّي قول من قال: ﴿يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ أن الفعل الَّذي بعده مسند إلى المفعول به.[50]توجيه قراءة حمزة ﴿لبثين﴾ بحذف الألف من قوله تعالى:[٥١] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَآبًا لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾؛ إذ رأى أن اللبث أقوى؛ لأنَّ اللَّابث من وجد منه اللَّبث، ولا يقال (لبث) إلَّا لمن شأنه اللبث، كالَّذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك عنه .[52]

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

– إبراهيم أحمد عبد الجليل، القرَّاءات القرآنيَّة المتواترة وأثرها في الدلالة اللغوية، المجلة العلمية لكلية التربية جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الثَّاني، العدد السَّادس، ديسمبر، ٢٠١٦م.

– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي محمد السَّلامة، دار طيبة، الطَّبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

– أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٦م.

– أبو علي الحسن عبد الغفار الفارسي النَّحوي، الحجَّة في علل القراءات السبع، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.

– أحمد سعد محمَّد، التَّوجيه البلاغيُّ للقراءات القرآنيَّة، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٧م

– أحمد محمَّد الخرّاط، الإعجاز البيانيُّ في ضوء القراءات القرآنيَّة المتواترة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السُعوديَّة، ١٤٢٦هـ.

– إياد سالم صالح، الاختلاف في القراءات القرآنيَّة وأثره في اتساع المعاني، جامعة تكريت، كلِّيَّة التَّربيَّة، سامراء، د.ت.

– محيى الدِّين رمضان، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، دار الفرقان، الأردن، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

– مكِّي بن أبى طالب، الكشف عن وجوه القراءات السَّبع وعللها وحججها، تحقيق: محيي الدِّين رمضان، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.

هوامش البحث

١ البقرة: ٩.

٢ الأنفال: ٦٢.

٣ ابن كثير، ١/ ٤٨.

٤ ١٥٥ / الأعراف.

٥ ١٠/ البقرة.

٦ البقرة: ١٤.

٧ الحجَّة فى علل القراءات، ١/ ٢٤٦.

٨ البقرة: ٣٦.

9 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج١ /٤٦٢–٤٦٣

١٠ مكِّي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السَّبع، ١/ ٢٠٩.

١١ آل عمران: ١٥٥.

١٢ الأعراف: ٢٠.

١٣ البقرة: ١٠٦.

١٤ محيى الدِّين رمضان، وجوه من الإعجاز الموسيقى فى القرآن، دار الفرقان، الأردن، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ٦٧ – ٧٠ بتصرُّف.

١٥ التَّوبة: ٦٧.

١٦ البقرة: ١٢٨.

١٧ التَّكوير: ٢٢- ٢٥.

١٨ الاختلاف في القراءات القرآنيَّة وأثره في اتساع المعاني، ٦٠.

١٩ المسد: ٤.

٢٠ الإعجاز البياني في ضوء القراءات المتواترة، ٢٢٩

٢١ الأنعام: ٩٨.

22 إبراهيم أحمد عبد الجليل، القرَّاءات القرآنيَّة المتواترة وأثرها في الدِّلالة اللُّغوية، ٣٩-٤٠.

٢٣ مريم: ٦٥.

٢٤ التَّوبة: ١٠٣.

25 إبراهيم أحمد عبد الجليل، القرَّاءات القرآنيَّة المتواترة وأثرها في الدلالة اللغوية، ٤٣- ٤٤.

٢٦ الحجّ: ٣٨.

٢٧ البقرة: ٢٥١.

28 علل القراءات السَّبع، ج٤ ص١٤/١٥

٢٩ البقرة: ٢٦٠.

30 الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنيَّة المتواترة، ٢٣٦- ٢٣٧.

٣١ آل عمران: ٥٣.

٣٢ آل عمران: ٣٦.

33 الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنيَّة المتواترة، ٣٤٠/٣٤١

٣٤ الأحقاف: ٢٥.

35 الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنيَّة المتواترة، ٣٤٢.

٣٦ الصَّافات: ٤٧.

٣٧ الإعجاز البيانيُّ في ضوء القراءات القرآنيَّة المتواترة، ٣٤٣.

٣٨ النُّور: ٣٦- ٣٧.

٣٩ الإعجاز البيانيُّ في ضوء القراءات القرآنيَّة المتواترة، ٣٤٤.

٤٠ البقرة: ٢١٩.

٤١ المائدة: ٩١.

٤٢ الشُّورى: ٣٧.

43 الاختلاف في القراءات القرآنيَّة وأثره في اتِّساع المعاني، ٦١.

٤٤ البقرة: ١٠.

٤٥ البقرة: ٨.

46 علل القراءات السَّبع،

٤٧ الحج: ٣٤.

48 علل القراءات السَّبع،

٤٩ الحج: ٣٩.

50 علل القراءات السَّبع، ٢١٥.

٥١ النَّبأ: ٢١- ٢٣.

52 التوجيه البلاغي للقراءات القرآنيَّة، ١٦٢.